عظماء مجهولون
٥

تجد عدداً من قصص الصحابة رضوان الله عليهم
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

ابن عمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

زهير بن أبي أميّة

رضي الله عنه

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا: اسلاميًا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقيًا: اسلامي

الوليد
أبو قيس (قتل يوم بدر)
عمارة
هشام
خالد (سيف الله)
الحارث
العاص (قتل يوم بدر)
خالد
سلمة
عمرو (أبو جهل)
زهير
عبدالله
هشام (قتل يوم بدر)
مسعود (قتل يوم بدر)
الوليد (المهاجر)
أم سلمة (هند)
الوليد
هشام
أبو حذيفة
أبو ربيعة
أبو أمية
المغيرة
عبدالله
عمر
هلال
عبدالأسد
عبدالله (أبو سلمة)

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد : تعدّ بنو مخزوم أشهر بطون قريش الاثني عشر بعد بني عبد مناف ، وكان المغيرة ابن عبد الله المخزومي أجلّ رجل فيها ، وله عدد من الأولاد ، أكبرهم أبو أمية الذي ورث الزعامة عن أبيه ، وكان على درجة من الكرم لدرجة أنه إذا كان في موكب لا يقبل أن يحمل أحد منهم زاداً أو طعاماً ، بل يكفيهم جميعاً ، لذا عرف باسم « زاد الركب »، وكان أكبر رجل في قريش عام إعادة بناء البيت الحرام إثر سيلٍ جارفٍ هدّمه وذلك حوالي العام الخامس والثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في السنة الخامسة قبل البعثة النبوية ، وهو الذي أشار على قريش بعد اختلافها على وضع الحجر الأسود بتحكيم أول داخل ، وكان أن دخل الأمين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، فارتفعت أصواتهم : قبلنا بالأمين حكماً ، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن بسط رداءه،

رئيس كل قبيله أن يأخذ بطرف منه ، حتّى إذا وصلوا إلى المكان المطلوب ، أخذ صلى الله عليه وسلم الحجر بكلتا يديه ، ووضعه في مكانه .

وكان هذا السيد المطاع أبو أمية بن المغيرة قد تزوج عاتكة بنت عبد المطلب فولدت له زهيراً وعبد الله، وهي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما تزوج أيضاً عاتكة بنت عامر بن ربيعة ابن مالك الكنانية فأنجبت له هشاماً ، ومسعوداً ، والوليد الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر ، وهند (أم سلمة) أم المؤمنين رضي الله عنها .

وتوفي أبو أمية ، وورث عنه ابنه زهير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم المجد والسؤدد ، ونشأ سيداً من سادات بني مخزوم ، وأشراف قريش ، ولكنه مع وجود أعمامه وخاصة الوليد ابن المغيرة كان يعد شريفاً من الدرجة الثانية في بني مخزوم احتراماً لأعمامه وتوقيراً لهم .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآمن به وصدقه نفر من قريش منهم جماعة من السادات وأبنائهم ، ومنهم أصحاب الفكر السليم والرأي السديد ، ومنهم جماعة من المستضعفين ، أما الزعماء وكبار القوم فقد رأوا في اتّباعهم محمداً ضياعاً لزعامتهم ، وخسارة لمركزهم ، فوقفوا في وجه الدعوة ، وعملوا جهدهم في محاربتها ، إذ أن الوجاهة كثيراً ما تعمي وتصمّ عن الحق ، وإن

طلب الدنيا كثيراً ما يودي بالمرء إلى الهلاك ، فلم ير هؤلاء الوجهاء أمامهم إلاّ الزعامة ، ولم يشعروا إلا بالغطرسة والتكبر ، وظنّوا بأنفسهم أنهم أكبر من أية قوةٍ مهما علت ، وأنهم أكبر من الحق مهما ارتفع ، ولكن خاب ظنهم ، وضاع تفكيرهم ، فإذا بالباطل يسقط صريعاً ، ويعلو الحق عليه ، ويظهر كل شيء على حقيقته ، فمن أدرك نفسه واتبع الحق نجا ، ومن استمر على باطله خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

وكان من هؤلاء النفر ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم زهير بن أبي أمية إذ أراد أن يحتفظ لنفسه بموقعه مع كبار قريش ، وهو منهم ، وألا يضيع مركزه بينهم ، وهو أحدهم ، إذ حجبت الزعامة النور عن عينيه ، وحالت دون تفكيره ، ووقف طلب الدنيا دون وصوله إلى الحقيقة ، ولكنه كان في الوقت نفسه قليل الحرب للدعوة الإسلامية ، ومهادناً لها أشد المهادنة، بل كثيراً ماكان يميل نحو صاحبها صلى الله عليه وسلم ، لا لقربه منه ، وإنما لما يجد في الإسلام مما يتفق مع العقل السليم والفطرة البشرية

وكان أبو طالب يمدح النفر الذين يساندونه في دعمه لابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم، وخاصة السادة منهم ، ليستميلهم إليه ، ويبقوا بجانبه ، وفي إحدى قصائده ذكر ابن اخته زهيراً هذا بقوله :

ونعم ابن أخت القوم غير مكذب زهيراً حساماً مفرداً من حمائل
أشم من الشم البهاليل ينتمي إلى حسب في حومة المجد فاضل

مقاطعة بني هاشم وعدم مبايعتهم أو مناكحتهم ، فانزووا إلى شعب أبي طالب ، ودخل معهم الشعب بنو عمهم بنو المطلب ، بينما انخذل عنهم بنو عميهم بنو عبد شمس ، وبنو نوفل ابنا عبد مناف. وبقوا في الشعب ما يقرب من ثلاثة أعوام ، لاقوا فيها العذاب ، وأكلوا ورق الشجر ، على حين كانت قريش في حرمها تتاجر ، وتعيش بطمأنينة ورخاء .

لم يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بقية المسلمين أن يدخلوا مع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ، وإنما طلب منهم الاتجاه إلى الحبشة ، فكانت هجرة الحبشة الثانية ، ومن لم يستطع الهجرة لسببٍ من الأسباب كأن يمنعه أهله أو يحبسه قومه أو كان من المستضعفين والموالي فقد بقي في مكة مع قريش ، وقد يكون بعضهم ذا مركزٍ كأبي بكر رضي الله عنه ، وما ذلك المنع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدخول في الشعب للمسلمين إلا ليمنعهم من أن يعيشوا في حمى الجاهلية . أما بنو هاشم وبنو المطلب فقد دخلوا في الشعب كلهم ، مسلمهم وكافرهم ، وكانت الكلمة فيه للجاهلية باستثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل كان الدخول كله من أجله والمقاطعة بسببه ، وكان إذا آوى إلى فراشه عليه الصلاة والسلام ، ورأى الناس مكانه جاء أبو طالب

وطلب منه أن يغيّر مكان نومه، وطلب من أحد أبنائه أو أقربائه أن ينام مكانه حتى إذا كان قد بيّت بعضهم الغدر برسول الله أصاب غيره . فالمسلمون كجماعة لا تدخل بمجموعها في حمى الجاهلية كما لا يدخل عضو في حمى جماعة إذ تذوب شخصيته ضمنها أما كأفراد تحميهم عصبتهم أو يمنعهم قومهم فهذا أمر آخر ويمكن أن يقبل ، فقد دخل عثمان بن مظعون رضي الله عنه في جوار الوليد ابن المغيرة ، ودخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في جوار ابن الدغنة ، ودخل أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي في جوار خاله أبي طالب ، وفوق كل هذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوار المطعم بن عدي ، وكذلك فالدخول إلى الشعب يعدّ جواراً إلا لأن الصفة الفردية هي التي كانت واضحة السمة ، ومع هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم كان العنصر المحرك فيها والأساسي ، ولم يكن لتفرض عليه الجاهلية كلمتها، إذ أن الحصار كله كان من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد ثلاثة أعوام من البقاء في الشعب مشى هشام بن عمرو وكان قريباً لبني هاشم ، واصلاً لهم ، يرسل إليهم الطعام سراً ، وكان ذا شرفٍ في قومه، فمشى إلى زهير بن أبي أمية المخزومي، وقال له : يازهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ؟ أما إني أحلف بالله : أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ، ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه

حتى أنقضها ، قال : قد وجدت رجلاً لك ، قال : فمن هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : أبغنا رجلاً ثالثاً .

وسار هشام بن عمرو إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وقال له : يا مطعم ، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً ، قال : ويحك ، فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثا، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال ابغنا رابعاً، ثم ذهب هشام إلى أبي البختري بن هشام ، فكسبه إلى صفوفهم،ومن عنده انتقل إلى زمعة بن الأسود الأسدي ، فكلمه في الأمر ، فوافقه على ما وافق عليه الآخرون .

وتواعد هؤلاء النفر (خَطم الحجون) ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، فأجمعوا أمرهم ، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم ، فأكون أول من يتكلم ، فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية وعليه حلّة ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال : ياأهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب ،وبنو هاشم هلكى ، لا يباع ولا يبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة

القاطعة الظالمة . فردّ عليه أبو جهل ، وكان في ناحيةٍ أخرى من المسجد ، وقال : كذبت والله لا تشق ، إلاّ أن زمعة صدّق زهيراً ، وقال : مارضينا كتابتها حيث كتبت ، قال أبو البختري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ، ولا نقرّ به ، ثم صدّق المطعم ماقاله أصحابه ، وكذّب من قال غير ذلك ، وتبرأ إلى الله منها ، ومما كتب فيها ، وأيدّ هشام بن عمرو رفاقه ، فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » .

على الرغم من هذا الموقف النبيل والتعاطف الذي كان يبديه زهير تجاه المسلمين ، وعدم إظهار العداء الواضح الذي كان يبدو من بقية المشركين من سادة قريش ، إلا أن زهيراً بقي في موقفه المنتكر للاسلام ، ومعارضته لابن خاله محمد بن عبد الله رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، إذ استمر يشعر أنه واحد من وجهاء قريش ، ويجب ألا يتخلى عن موقفه أبداً كبقية الوجهاء ، إذ في تخليه عيب واضح ، وضعف لمركزه المرموق بين أفراد القبيلة جميعهم ــ حسب المفهوم الجاهلي ــ ، وهذا ليس بالأمر الغريب فإن خاله أبا طالب كان يثق بابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما في ذلك من معنى الثقة ، ويحميه بكل ما يستطيع من حماية ، ويقف دونه الموقف الذي يحول دون أن يمكّن قريشا من القيام بعمل ضده ، بل إذا أخبره محمد بأمر غيبي يقول له : أربك أخبرك؟ فإن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم ، صدّق أبو طالب ابن أخيه ، بل أعلن ذلك لقومه ، وافتخر

محمداً .

وترك المسلمون الأوائل مدينتهم مكة المكرمة لما أصابهم من أذى قريش ، وهاجروا إلى المدينة ، وبقي زهير على موقفه الأول لا يتزحزح عنه ، يعيش سيداً في مكة ، وعلى الرغم من الانتصارات التي أحرزها المسلمون ، والدعم الذي كانوا يلقونه من السماء ، ولولاه لما كان انتصار ، بل لا يمكن تفسير تلك الانتصارات إلا به ، فلم يكن العدد ليتساوى ، ولم تكن العُدد لتتعادل ومع ذلك فالنصر كان دائماً بجانب المسلمين ، إلا أن زهيراً لم يأبه بالأمر كثيراً، بل لم يعمل عقله في ذلك ليتوصل إلى الحق والنور الساطع الذي عمّ سناه ما بين مكة والمدينة وما جاورهما .

وسارت قريش من مكة باتجاه المدينة تريد تأديب المسلمين ــ حسب زعمها ــ والقضاء عليهم ، وكانت معركة بدر الكبرى بين الفريقين ، وكانت فرقاناً بين الحق والباطل ، انتصر فيه الحق واتضح ، وهزم الباطل واختفى ، وفقدت قريش على أرض المعركة سبعين قتيلاً ، ومثلهم أسرى بيد المسلمين ، وكان بين القتلى أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة وأخوه العاص ابنا عم زهير بن أبي أمية بن المغيرة وابن عمه الآخر أبو قيس بن الوليد وأخوا زهير بالذات وهما : هشام ومسعود ، ومع هذه الفاجعة بالنسبة إلى

قريش عامة وبالنسبة إلى زهير خاصة ، إلا أن زهيرا لم يزدد حقده ولم يغيّر موقفه ، ولم يفكر بالانتقام أو بالغدر كما حاول غيره، وكما فكر آخرون .

وقويت شوكة المسلمين ، واتجهوا نحو مكة فاتحين، ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، ونزل بأعلاها ، وعندها شعر زهير بن أبي أمية بالخطر ، ورأى أنه يحدق به من كل جهة ، وظنّ كما ظنّ غيره من أهل مكة أنها القوة ، وأنه الملك . فلم يجد بدّاً من أن يفكر في النجاة ، إذ خاف على نفسه ، وأرشده عقله أن يستجير بابنة خاله أم هانىء بنت أبي طالب ، وكانت عند ابن عمه هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، فاستجار بها هو وابن عمه الحارث بن هشام أخو أبي جهل ، فأجارتهما ، تقول أم هانىء : فدخل عليّ علي بن أبي طالب أخي ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل في جفنة فيها أثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ، ثم انصرف إليّ ، فقال : مرحباً وأهلاً يا أم هانىء ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي ، فقال : قد أجرنا من أجرت ، وأمّنا من أمّنت ، فلا يقتلهما .

ودخل زهير في الاسلام مع من دخل من أهل مكة ، فكان من الطلقاء ، ولكن يبدو أن هذا الدخول إنما كان بالتبعية مع قومه ، وإن كان من المتبوعين .

وصلت أخبار فتح المسلمين لمكة إلى قبائل العرب كلها .

مالك بن عوف النصري ، وانضمت إليها كل من ثقيف ونصر وجشم وسعد بن بكر وبعض بني هلال ، ولما سمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمع السير إليهم ، فخرج معه أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة وعددهم عشرة آلاف مقاتل ، وانضم إليهم ألفان من أهل مكة من الطلقاء ، وفيهم وجهاء القوم إذ كان من عادتهم الخروج ، فلو تخلفوا لعدّوا محاربين أيضاً ومتخاذلين . بل غير مؤمنين ، ولربما كان منهم من لم يدخل الإيمان إلى قلبه ، بل ربما كان أكثرهم على هذه الحال . ومن وجهاء القوم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان ، وزهير بن أبي أمية المخزومي ، وأبناء عم زهير الحارث بن هشام بن المغيرة وأخوه خالد ، وهما أخوا أبي جهل ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، أخو خالد بن الوليد وغيرهم كثير مثل صفوان بن أمية وأخيه .

وفي وادي حنين التقى الجمعان ، وكانت هوزان قد سبقت وجموعها إلى ذلك المكان ، وكمنت في بعض شعابه ، فلما وصل المسلمون إلى الوادي فوجئوا بالاغارة عليهم من كل مكان ، ولما كان معهم بعض الطلقاء ممن لم يؤمنوا بحق لذا ولوا الأدبار ، وتركوا أرض المعركة ، ولحقهم أكثر المقاتلين ، وأغلب أهل مكة من الطلقاء ، وعلى هذا فالمنافقون أو الكفار لا يزيدون المسلمين قوة إن كانوا معهم ، وإنما يضعفون من شأنهم ، ويقللون من عزيمتهم ، كما أن بعض المسلمين رأوا في الكثرة قوة ، إلا أن الكثرة

بدون إيمان لن تفيد شيئاً « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » . فولى أكثر المسلمين الأدبار ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أهله وأصحابه ، وشمت بعض الطلقاء . وقالوا : بطل السحر ، إلا أن ثبات رسول الله ومناداة العباس رضي الله عنه قد أعادا المسلمين إلى رشدهم، فرجعوا إلى رسول الله والتفوا حوله وجاءهم المدد من السماء ، وحملوا على المشركين حملة واحدة أزالتهم عن مواقعهم ثم فروا هاربين ، وقد ربح المسلمون غنائم كثيرة .

وفرت ثقيف وبعض من معها إلى الطائف وتحصنت بها ، فلحقها المسلمون ، وحاصروا الطائف ، ثم تركوها بعد قتال ومفاوضات ، وأثناء العودة وفي منطقة « الجعرانة » قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم الكثير منها فقد أعطى أبا سفيان وابنه معاوية وزهير بن أبي أمية وصفوان بن أمية كل واحد منهم مائة ناقة ، وعلى هذا يكون زهير من وجهاء القوم أولاً ومن المؤلفة قلوبهم ثانياً .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ومكث فيها قليلاً ، ثم عاد إلى المدينة ، وعاش الطلقاء في مكة كل يفكر في نفسه، ويجد في إعمال فكره، فمنهم من بقي على حاله مؤمناً عاديا ، ومنهم من اجتهد في العبادة ليعوض ما فات ، ويصحح ما كان منه، ومن هؤلاء زهير بن أبي أمية الذي ندم على ما مر من أيامه،

وكيف كان يساير سراة القوم الذين أضلوه السبيل ، والواقع أن زهيراً لم يكن إمعة يسير مع الناس ، يعادي الإسلام مع قريش ، ويسلم عندما يسلمون ، ويغزو عندما يغزون ، وإنما كانت الوجاهة قد أعمته عن الحق ، والثراء سيأتي عن طريقها،فعندما أخذمائة بعير عاد إلى صوابه ، وشعر أن المال ظل زائل ، ويأتي من طرق كثيرة وليست الزعامة هي السبيل إليه فقط ، وأن الدنيا منتهية لا محالة وسيذهب الانسان بلا مال ولا يستفيد إلا مما قدّم من عمل ، لذا بدأ يجتهد في العبادة والطاعة ، ويمحو كل ما كان من سلوكه السابق .

ومضى عامان أو مايقرب منهما، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى مكة حجّاجاً ، وكانت هذه الحجة بالنسبة إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام حجة الوداع،والتقى زهير بنبيه وتعلق به ، وقرر أن ينتقل إلى المدينة ليعيش بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى منه ، وينهل من ذلك النبع الصافي ، إلا أن رسول الله لم تطل به الحياة بعد حجة الوداع ، فعاش أشهراً وانتقل إثرها إلى الحياة الآخرة ، ولم تعد لزهير فائدة في ذلك الانتقال .

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، واختار المسلمون خليفة لهم أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، وطمع الأعراب فيما حدث ، بعضهم أراد أن يأخذ الزكاة كضريبة لنفسه ، ويمتنع من دفعها للدولة،ومنهم من أراد أن يتحكم بشؤون قومه حسب مصلحته تبعاً للجاهلية التي كانت سائدة قبل الإسلام،

ومنهم من لم يفهم الإسلام ولم يدخل الايمان إلى قلبه ، لكنه وجد في النبوة زعامة وشهرة، فادعاها ، ومنهم... ومنهم ... وارتدت أكثر الأعراب وأهل القرى والبوادي ولم يبق على الإسلام سوى المدينة ومكة والطائف بل إن بعض النفوس قد اشرأبت للنفاق في مكة لولا موقف سهيل بن عمرو وبعض الوجهاء ومنهم زهير بن أبي أمية .

أعلن أبو بكر الصديق رضي الله عنه الحرب على المرتدين ، وانطلقت إليهم جند الله تندفع نحوهم جيشاً إثر جيش ، وكتيبة تلو كتيبة ، ينخرط في صفوفها المجاهدون ، ويسيرون في موكب واحد ، وترى في هذا الموكب الشاب اليافع الذي دفعه إيمانه ليستقبل شبابه بالجهاد عسى أن يحصل على الشهادة قبل أن يمتد به العمر ، أو يظفر بالنصر فيرى راية الإسلام خفاقة يعيش تحتها الناس في طمأنينة وسعادة ، وترى في ذلك الموكب الشيخ الهرم الذي لم تقعده سنه عن القتال في سبيل الله يبغي الشهادة ولطالما طلبها ولكنه لم يظفر بها ، ولعلها تكون خاتمة حياته فيحصل على ماسعى إليه طيلة حياته .

كان زهير بن أبي أمية يقرأ القرآن الكريم في الحرم . واستوقفته آية « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين»، وجالت في نفسه الخواطر، أي علو نبغي بعد هذا العمر الذي انقضى ، ويوم طلبناه لم يغن عنا في الحياة الدنيا فماذا يغني في الآخرة ؟ إن العلو الذي نريده

وسمع زهير أن كتائب الله تتحرك نحو المرتدين فأسرع للانخراط فيها ، وودع مكة وداع من لايريد العودة إليها ، ليختم حياته بالجهاد ، عسى أن يكفّر عن أيامه التي وقف فيها في وجه الدعوة ..

وسار الجيش باتجاه الشرق ، وكان زهير فيه ، يسير تحت لواء ابن عمه خالد بن الوليد بن المغيرة ، وكأنه يريد أن يسبقه ليشترك في المعركة وليخضب سيفه بدماء أولئك المرتدين الذين أغرتهم الدنيا بمفاتنها ، وأغواهم الشيطان بغروره ، فعتوا عن أمر ربهم ، ونسوا ما كان ينساه في أيامه الخالية ، يسير ويذكر الماضي الذي لاتفارقه صورته أبداً ،ويرجو الشهادة ، وقد ذاق حلاوة الايمان عسى أن تكفّر عنه ما تلوّث من ماضيه ، يسير وكأنه يقبل إلى الموت الذي تبدو علائمه على وجهه .....

قد طالت به الحياةوعرف حلوها وذاق مرها فلم يجد شيئاً فيها ، لقد تذوق حلوها وهو وجيه ، وشعر بمرها وهو ضعيف ، ولم يجد شيئاً ، والآن فأمله كبير بأن يحصل على الشهادة ليجد عند الله الخير الكثير . يتذكر جنات النعيم فتنفرج أساريره . ويتصور أنها وراء الشهادة فيقطب وجهه استعداداً للقتال ، ويسرع في جسمه الخطو ، ويرخي لفرسه العنان ، ليسابق بقية الجند نحو العدو فما يشعر إلا وجواده قد تقدم على جواد القائد فيعود إلى نفسه ويتأخر إلى مكانه .

والتقى الجيشان جيش الإيمان بقياة خالد بن الوليد المخزومي وجيش الكفر بإمرة مسيلمة الكذاب الحنفي ، وأعطيت الأوامر للمسلمين بالقتال ، وكان زهير ينتظرها فاندفع اندفاعاً نحو المرتدين لم يرجع بعدها أبداً، انطلق انطلاقة المودع ، فحصل على ما يريد ، الله أكبر لقد نال الشهادة ، وظفر بما يريد إنها جنات الخلد ثواباً من عند الله .. « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » .

صدق الله العظيم .